محمود محمد طه

الماركسية في الميزان

الطبعة الأولى
رمضان ١٣٩٣
أكتوبر ١٩٧٣

الاهـــــداء

الـى الـذين يطلبون الحــق ،

لانهــــم يحبــون الحقيقــة ..

بسم الله الرحمن الرحيم

« وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون ❋ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم عن الاخرة ، هم ، غافلون » ..

صدق الله العظيم

المقدمة

هذا كتاب « الماركسية فى الميزان » ، وهو عبارة عن متن محاضرة ، بهذا العنوان ، القيت بدار الجمهوريين ، بمدينة امدرمان — حى الموردة ، وذلك فى مساء يوم الاربعاء ، الثانى والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٦٨ .. ولقد كانت هذه المحاضرة مسجلة على شريط .. وهى ، انما تظهر اليوم على الورق ، نقلا عن هذا الشريط .. وهذا هو السبب فى جريانها بلغة «الكلام» ، بدلا من لغة «الكتابة» كما هو مألوف العادة ..

لقد كان ماركس فيلسوفا « عمليا » .. ولقد لجت به « عمليته » هذه حتى اصبح نبتا ارضياً ، صلته بالسماء واهية ، وفروعه فى الاعالى قريبة .. وبذلك فقد اصبحت فلسفته سطحية ، بصورة مؤسفة .. ان ماركس ، اذا ما وضع فى اطاره الحقيقى ، والطبيعى ، كفيلسوف مرحلى ، يصبح مقبولا ، ومحمودا ، فيما ادى من خدمة مرحلية فى تطوير المجتمع البشرى .. اما اذا وضع كفيلسوف لجميع الأزمنة ، كما يدعى الماركسيون ، فانه لا ينهض ، ولا يقوم ، الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ..

هذا ولنا عودة ، الى تفصيل القول فى امر الماركسية ، قريبة ، ان شاء الله ، ولربما تكون فى مقدمة الطبعة الثانية لهذا الكتاب .. اما الآن فاننا نقدم الكتاب للقراء عسى ان يجدوا فيه المتعة المرجوة .. والله هو المسئول ان يتقبل منا صالح عملنا ، وان يصلح فاسده .. انه نعم المولى ، ونعم النصير ..

متن المحـــاضرة

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

حديثنا ، فى هذه الأمسية ، سيكون عن : «الماركسية فى الميزان» •• وهذا الحديث يجيء ضمن عملنا ، نحن الأخوان الجمهوريين ، فى محاولة توعية الناس فى الســودان ، فى الوقت الحــاضر •• التوعية السياسية المطلوبة ، المطلوبة لكى تكون هناك نهضة سياسية ، ونهضة اقتصادية ، ونهضة اجتماعية •• وفى الميدان ، فى الوقت الحــاضر ، هناك فكرتان — الفكرة الماركسية ، والفكرة الاسلامية •• ومحاضرة هذه الامسية انمــا هى للتنوير فيما يخص الفكرة الماركسية •• وهى باسم « الماركسية فى الميزان » •• وغدا ستكون هناك ، ان شاء الله ، كلمة اخرى عــن تطوير التشريع الاسلامى ، يراد بها الى التنوير فيما يخص الفكر الاسلامى •• وما اعتقد أن فى الميدان ، فى الوقت الحاضر ، فى السودان ، الا هــاتان الفكرتان ـ الماركسية ، والاسلام •• ويمكن للانسان ان يقول ، علــى اطلاق المسألة ، ان ليس فى العــالم ، فى الوقت الحاضر ، غــير هاتين الفكرتين ، وان كان الاسلام لم يتخذ الصورة الواضحة ليصبح دعوة •• لكن لا يمكن أن يكون فى العالم هناك فكــرة تنازل الفكــرة الماركسية ، وتصححها غير الاسلام •• فاذن نحن فى هاتين الليلتين ان شاء الله ، فى هذه الليلة ، وفى الليلة المقبلة ، سنحاول ان نتخذ وضع واضح من الرأى المواجه للماركسية والاسلام ••

مــا هـــو الميــزان

« الماركسية فى الميزان » بتقتضى كلمة عــن « الميزان » ، قبل مــا

نتكلم عن الماركسية .. كان عندنا كتيب ، قبل قليل ، تتناول نشاط جبهة الميثاق .. وكان اسمه : « زعيم جبهة الميثاق الاسلامي فى الميزان : — ١) ميزان الاسلام ، ٢) ميزان الثقافة الغربية » .. والموازين ، بطبيعة الحال ، كثيرة ، وتتفاوت فى الدقة .. فهناك ميزان بيوزن بيهو الملح ، وميزان بيوزن بيهو الذهب ، وبيكون هناك اختلاف فى « السنج » ، واختلاف فى حساسية الميزان ليستجيب لأبسط فارق فى الوزن .. فنحن ، فى الوضع الحاضر ، فى محاضرتنا عن « الماركسية فى الميزان » ، ميزاننا ميزان الاسلام : « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ، وانزلنا معهم الكتاب ، والميزان ، ليقوم الناس بالقسط » ، « الميزان » هنا يمكنك ان تقول : ميزان « الشريعة الاسلامية » .. ويمكنك ان تقول : ميزان : « لا اله الا الله » بمعنى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى اوحينا اليك » دا معناه : شريعة الكلمة : « لا اله الا الله » لأن « لا اله الا الله » هى التى اوحيت للنبيين جميعا : خير ما جئت به انا والنبيون من قبلى « لا اله الا الله » ..

فميزاننا ، اذن ، اليمكن نزن بيهو الماركسية هو : « لا اله الا الله » .. هو دقة التوحيد المنتظم الوجود ، فى أعلاه ، وفى أسفله ..

وانطلاقا من هذا الميزان يجب أن نصحح مفهوم شائع ، هو ان الماركسية ما حقها يتكلم عنها الناس ، خصوصا اذا كانوا دعاة اسلام ، ذلك لان الماركسية رجس من عمل الشيطان ، وانها لا حاجة لنا بها .. أول ما يجب أن يصحح بميزان : « لا اله الا الله » هو ان ليس هناك باطل مطلق يمكن ان يدخل فى الوجود .. كل ما دخل فى الوجود انما دخل بارادة الهية .. والارادة لا يمكن أن تكون باطل مطلق .. وما نراه نحن باطل فى الارادة ، انما هو باطل حكم ، باطل شرع ، باطل لمصلحة وجهة نظرنا نحن .. لكن ، من وجهة نظر الحق ، ليس هناك الا الحق ..

وماركس ما جاء بحاجة ما أوحاها ليهو الله •• حتى الالحاد ، الانتو ما عايزنو فى الماركسية ، ما دخل فى الوجود الا بوحى الهى ، لحكمة الهية ، يجب ان يتابعها الناس ، حتى تنجلى ليهم •• ومن الخطأ ان نرفض أى شىء من التراث البشرى بحكمنا عليه انه باطل مطلق •• وقد يقال اننـا نحن ، كدعاة اسلاميين ، عندنا الاسلام ، ونحن مستغنين بالاسلام عن ما عـداه •• « الماركسية » ، فى اشتراكيتها ، وفى فلسفتها ، فيما يتعلق بالانسان ، نحن الاسلام بيغنينا عنها • • نحب ان نقول : ان الاسلام هو ، فى الحقيقة ، عبارة عن جميع نشاط صور العناصر الفى الوجود •• الاسلام ، كما يقول عنه ربنا فى القـرآن :ـ « أفغير دين الله يبغون ؟؟ وله اسلم مـن فى السموات والارض ، طـوعا ، وكرها ، واليـه يرجعون ! ! » • الاسلام ، بالمعنى دا هو الاسلام العام ، هو الانقياد للارادة الالهية ، طوعا للبشر المسلمين ، وهم واعين ، وكرها لكـل العناصر التى تسير الى الله مقهورة بالارادة •• فماركس ، وما جاء بـه ماركس ، داخل فى الاسلام العام ، لكن لما تجى انت للاسلام الخاص ، الاسلام المطلوب ، الذى هو الاستسلام الراضى ، والانقياد الـواعى ، المدرك ، بيكون فى خطأ فى جانب ماركس ، وفى حاجة صحيحة فى جانبه ••

مـا لمـاركس ومـا عليـه :ـ

ونحن ، فى الميزان اذن ، عايزين نرى ما ليهو ، وما عليهو •• النقطة البنبتدىء منها ، هى نقطة عدم الرفض المطلـق لماركس ، ونقطة عـدم القبول المطلق لماركس •• يجىء هذا من اعتبار ان فكره انما هو نشاط بشرى ، فيهو خطأ ، وفيهو صواب •• ولما نحن نقول اننا سنرى ما ليهو وما عليهو فى الميزان معناه اننا سـنضع ، فى كفة الحسنات ، حسناته ، ونضع ، فى كفة السيئات ، سيئاته •• والمجهود الاسلامى كله له هيمنته

على النشاط البشرى كله •• لما قال ، عن كتابنا : ــ « مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ، ومهيمناً عليه •• » يعنى ان كتابنا ، يعنى ان دينا ، مهيمن على الأديان ، وكتابنا مهيمن على الكتب •• الكتب دى مش مجرد الكتب الاربعة المنزلة من السماء •• وانما كل كتاب ، حتى كتاب « رأس المال » بتاع ماركس ، القرآن مسيطر عليهو ، ومهيمن عليهو ، ويســــتطيع ان يظهر الخطأ الفيهو ، ويظهر الصواب الفيهو •• من هذا المنطلق نستطيع ان نتكلم عن « الماركسية » ••

« الماركسية » ، هى فلسفة كارل ماركس ، الرجل المشهور •• ملء السمع ، وملء البصر ، فى الوقت الحاضر •• كان كارل ماركس المانى ، من عنصر يهودى •• ولد فى المانيا ، فى أوائل القرن التاسع عشر •• ولد فى سنة ١٨١٨ ، وترعرع فى المانيا ، لغــاية ما اكمل دراسته الجامعية فى جامعة برلين •• تخرج فى القوانين ، والتاريخ ، والفلسفة •• فى المانيا ، كان ماركس ثائرا ، كان ذلك فى الأربعينات ــ فى أواخــر الثلاثينات ، واوائل الأربعينات ــ كان ثائرا حتى ان الوضع الموجود يومئذ فى المانيا ضــاق بثورته ، واخــرجه •• مشى لفرنسا •• فى فرنسا أقــام بعض الوقت •• التصق خــلاله بالثوار الفرنسيين ، اللى هم أعقــاب الثورة الفرنسية المشهورة ، وثار معاهم ، حتى ضاقت بيهو فرنسا ايضــا •• كان الوقت وقت ثورات •• حصلت ، فى اوروبا ، فى محلات كثيرة ، منها المانيا ، ومنها فرنسا ، فى عام ١٨٤٨ حصلت ثورات •• فما كان من كارل ماركس الا ان انتهز فرصة هذه الثورة فى المانيــا ، ثورة سنة ١٨٤٨ ، وجاء لألمانيا راجع ، وواصل نشاطه الثورى •• فى سنة ١٨٤٩ ضاقوا بيهو مرة اخــرى ، وطردوه مــــن المانيا •• مشى لفــرنسا •• منعوه الدخول •• مشى لبريطانيا حيث اقام •• تقريبا كل مذهبه خرج مــــن بريطانيا •• كانت اقامته فيها الى سنة ١٨٨٣ ، حيث توفى فى لندن ••

هنا يحسن لن يقال أن كارل ماركس قد صحب ثلاث حركات كبرى : صحب الفكر الكلاسيكي الألماني في الفلسفة .. تقريبا كان هو معاصر لهيجل ، الفيلسوف الألماني .. وفي فرنسا صحب الحركة الشيوعية الثورية ، التي كانت متأثرة بالثورة الفرنسية .. وفي بريطانيا صحب الاقتصاد ، زي ما بسموه ، السياسي الكلاسكي .. الاقتصاد الرأسمالي النامي بصورة راقية وسريعة .. لقد كانت لماركس في هذه البلاد ثلاث فرص جيدة .. في المانيا كانت الفلسفة ، وفي فرنسا الثورة والشيوعية ، الافكار الاشتراكية الثورية ، وفي بريطانيا الاقتصاد الرأسمالي المزدهر بصورة ما في البلاد الأوربية زيه .. في بريطانيا ، وفي فرنسا ، عاصر الاشتراكية ..

الاشتراكية المثالية

الاشتراكيين البريطانيين كانوا أسبق على الفكرة الاشتراكية من سكان القارة الأوربية .. الامر المشهور هو انه قد كان في بريطانيا رجل اسمه روبرت أوين ، يقال انه هو أول من استعمل كلمة اشتراكية .. روبرت أوين ، اشتراكيته ، في بريطانيا ، باقية حتى الآن .. وهي اشتراكية حزب العمال ، والجهاز الفلسفي ليها سموه جمعية الفابيين FABIAN SOCIETY .. الاسم بتاعها جائي من قائد روماني قديم اسمه فابيوس .. يقال ان فابيوس ده ، كان عنده من المهارة التكتيكية ما يخليه يهزم العدو بدون ما يواجهه .. هو لا يواجه عدوه أصلا ، ولكنه بالكر ، والفر ، وبالمناورات ، وبالتجسس ، قد كان يقلق راحة ، ونوم العدو ، وبالصورة دي يهزمه .. هم كأنما قالوا اننا نحن

اشتراكيين على صورة من عمل فابيوس هذا فى التكتيك الحربى .. لنا اسلوب مراوغة نستطيع بيهو أن نهزم الرأسمالية ، والمستغلين ، وان ننصر الطبقات المستغلة .. السمة الكان عليها روبرت أوين فى اشتراكيته ، كانت محاولة تطوير الوضع .. العمال يسعوا لكسب التشاريع فى البرلمان البتديهم حقوق التنظيم ، بعدين ، بنوع من الضغط الى حد كبير ، قائم على الأوضاع السلمية ، والتنظيم النقابى ، يستطيعون ان يكرهوا أصحاب الأعمال ليحسنوا فى حالة العمال ، سواء فى ساعات العمل ، أم فى زيادة الأجور .. روبرت أوين نفسه كان من أصحاب الأعمال .. والمعروف ان روبرت أوين لما جاء يطبق المسألة دى ، ليعطى فرصة للعمال ، من دوافع انسانية ، من عندو ، وليمشى فى تطبيق أفكاره ، حاربوه ، حاربه أصحاب الأعمال الكبيرة ، لغاية ما فى الآخر افلس .. هنا كارل ماركس عنده نظرة للاشتراكية بتاعة روبرت أوين .. هو بيعتبرها مثالية .. مثالية معناها بتقوم على أفكار حالمة .. اذا كان هناك انسان مستغلك ، وعندو حقك ، وانت بتنتظر أن تأخذ منو حقك دا بالتى هى أحسن ، وبالمحاورة ، والمداولة ، وبسن التشريع ، وبالاصلاح العام السلمى .. بالصورة دى ما بتكون فى عندك فرصة .. وبتكون انت مثالى .. هذا هو المعنى المقصود ..

الاشتراكية العلمية

فى فرنسا الحركة « الاشتراكية » كانت تسمى « الشيوعية .. » كلمة الشيوعية جايه من أصل لاتينى ، معناه « الملكية العامة لوسائل الانتاج » .. لكنها بتقوم على العنف .. الشيوعيون هم بقايا من الثورة الفرنسية المعروفة عندكم .. فهم يرون من ثم ان التغيير لازم يكون بالعنف .. فاذا كان العندو حقك ، وهو مستغلك ، وما ممكن يديك

حقك بالتى هى أحسن ، وهـــذا عندهم امر طبيعى ، تصبح الحاجـة العملية ، والعلمية ، ان شئتم ، هى انك انت تقاتله ، وتأخـذ منه حقـك بالقوة •• والقوة منها الثورة المسلحة ، ومنها دون ذلك ، وانت بتحاول ان تجيبها بالصور المختلفة التى منهـــا اتحـــاد الناس المستغلين •• والمستغلين هم عادة الطبقة الكبرى ، هم العدد الهائل فى كل شعب •• العدد الكبير بيكون المستغل ، والعدد المستغل بيكون القليل •• فـانت بالتنظيم يمكنك تجميع ، وتوحيد ، المستغلين ليقووا ،حتى يستطيعوا ان يأخذوا حقهم •• ومن ذلك جاء الشعار بتاعهم : « يا عمال العـالم اتحدوا !! ليس عندكم ما تفقدونه ســوى قيودكم » •• فهنا ، كارل مــاركس ، اعجبته الفكـــرة « الاشـــتراكية » الفـرنسية ، أو قل « الشيوعية » •• ولذلك فقد سمى مذهبه « بالشيوعية » •• فيمـا بعـــد ظهـر التمييز بين « الاشـــتراكية » ، و « الشـــيوعية » ، ولكـــن ، فى الاول ، فى الـــوقت الأولانى ، مـا كـان فى تمييز واضح •• ولكن ، فى الآخر ، ظهـر ان « الاشتراكية » مرحلة نحـــو « الشيوعية » •• اذا كنت انت عايز تكون شيوعى ، فى آخر المطـاف ، لابد أن تمر ، من الرأسمالية ، بمرحلة الاشتراكية ، ريثما تصل لمستوى الشيوعية •• هنا النظرة بتاعة كـارل ماركس للموضوع دا ســميت « الاشتراكية العلمية » •• لمـا هو سمى « الاشتراكية » بتاعة روبرت أوين « مثالية » سمى اشتراكيته هو « علمية » •• وعلميتها بتجى مـن نظرته هو للتاريخ ، وللطبيعة •• عنده ان الطبيعة بتطـور باستمرار ، وعندها قوانين بتحكمها فى تطورها هـــذا •• معرفة القـوانين دى ، البتخضع ليها الطبيعة ، سواء اكانت فى العناصر الصماء ، أم فى المجتمع البشرى ، أم فى الفكـر البشرى ، معرفة القـوانين دى ، كارل ماركس سماها « المادية الديلكتيكية » ـ المادية الجدلية ـ بعض الناس بيقولوا

فى ترجمتها .. لكن دى ترجمة غلط ، لأن المسألة مش مسألة جدل ، وانما مسألة تطــور .. فكأنما ، عنـد ماركس ، جدل الطبيعة صراع بين العناصر .. كــان كأنما يرى ان الطبيعة بهــذا الصراع بتناقش المتناقضات ، بتصفى المتناقضات ، بتطــور .. وهى فى تطورها ، انمــا بتنتقل من الكم الى الكيف .. فالعبارة دى ، بالصــورة دى ، ترجمتها بكلمة « جدلية » لا تكفى .. وكذلك يرى كثير من الجماعة القالوا عليها « بالديلكتيكية » .. فانتم تسمعون عن : « المادية الديلكتيكية » عنــد ماركس ، ولكن ما هى ؟؟ هى علم القوانين العامة البتحكم الحركة سواء أكانت فى العالم الخارجى أم فى الفكر .. والحركة معناها شكل المادة ، عند ماركس .. عنده اصلو ما فى مادة بدون حــركة ، ولا فى حركة بدون مادة .. فانما هو التطور المستمر ، فى العناصر الموجودة فى البيئة النحن بنعيش فيها ، وفى داخلنا نحن ، وفى مجتمعنا .. دا هو ما سماه ماركس « بالمادية الديلكتيكية » .. وماركس ، زى ما قلنا عــن وضعه بالنسبة للاقتصاد الكلاســيكى ، فى بريطانيا ، كــان ، بالصــورة دى من فهمه للديالكتيك ، قد رصد ، ودرس كثيرا من حقائق هذا الاقتصاد .. هو ، فى الحقيقة ، لم يكن مهتما بمجرد فكرة روبرت أوين الاشتراكية ، ولكن الرأسمالية نفسها درسها ، ورصدها .. درس حالة العمال ، والمصانع ، والاستغلال ، والفائض ، وعلاقات الانتاج ، وكتب عنها كثيراً .. كــان قد استفاد من موقفه من فرنسا واشتراكيتها كما شفناه .. اما عن موقفه من الفلسفة بتاعة هيغل فسنقول قولا موجزا .. أنا جيت ليكم كتاب كتبه استالين عن « المادية الديلكتيكية » و « المادية التاريخية » يوريكم رأى ماركس فى مسألة هيغل .. هو ، فى بداية أمره كان مــن تلاميذ هيغل ، لكن ، فى الاخر ، رأى ان هيغل فيلسوف مثالى .. مثالى بمعنى انه بيتكلم عــن غير المادة .. بيتكلم عــن « الميتافيزيقيا » ـ مـا وراء المادة ـ

الروح .. هنا قال هـــو ، ودى عبارة اخذتها منه : « ان طريقتى الديلكتيكية لا تختلف عن الطريقة الهيغلية من حيث الاحساس فحسب ، بل هي ضدها تماما .. فحركة الفكر ، هذا الفكر ، الذى يشخصه هيغل ، ويطلق عليه اسم الفكرة ، هو فى نظره خالق الواقع وصانعه ، وعنده ما الواقع الا الشكل الحادثى للفكرة » .. دى فكرة هيغل ، اما ماركس فقد قال عنها : « انها ، فى نظرى ، فعلى العكس !! حـــركة الفكر ليست سوى انعكاس للحركة الواقعية ، منقولة الى دماغ الانسان ، ومستقرة فيه » .. يعنى هذا ان هيغل بيرى ان الوجود المادى انما برز كتنفيذ لفكـــرة سابقة .. ماركس بيرى ان الفكـــرة نفسها انما هى أثر من أثر الحركة فى المادة انعكس على العقل البشرى ، واســتقر فيه .. بمعنى آخر ، هيغل بيرى أن الفكرة سابقة للوجود .. ماركس بيرى ان الفكرة لاحقة للوجود .. بمعنى ، اسع أوسع ، ماركس عنده ان العقل أثر مـــن آثار المـــادة .. هيغل يرى أن العقل سابق للمـــادة ، وهـــو الخلقها ، وأوجدها .. هنا دى هى المفارقه الحقيقية بينهم .. المفارقه الحقيقية هى أن « المادة سابقه للعقل » ، فى فكـــرة ماركس ، و « العقل سابق للمادة » فى فكرة هيغل .. من اجل ذلك هيغل بيعتبر ، عنـــد ماركس ، مثالى .. هنا فى بعض الناس بيقولوا ان هيغل كان يرى ان الوجود ــ الانسان ، والطبيعة ، ما نراه كلـــه ، وما يمكـــن ان نراه ، هـــو ، فى مجموعه ، يكون الله .. دا حسب هذه الفلسفة .. الله موجود ، لكنه هو جملة الوجود !! بطبيعة الحـــال المسألة الماركسية ، المسألة المـــادية ، بتعتمد على زعمها ان المادة ما محتاجه لشىء خارج عنها .. انا أفتكر ان النقطة دى هى المحك الحقيقى ، ولذلك فانها تحتاج لبعض التعبير عنهـــا شوية ليقدام ، وتستحق بعض الاهتمام بيها زيادة ..

هناك مسألة التطور المستمر ، فماركس يرى فى المادة صورة الفناء، وانها ما بتبقى على صورة واحدة اطلاقا .. الحركة عنده هى الأصل .. والحركة عنده هى شكل وجود المادة .. والمادة بتتحول من كمية الى كيفية .. مثلاً : المويه .. المويه مادة موجودة عندنا .. والطاقة — الحرارة ، والبرودة — مادة موجودة عندنا .. اذا انت سلطت الحرارة على الماء بيتحول الى بخار ، وهى هى الماء .. واذا انت سلطت عليها (على الماء) البرودة بتتحول الى ثلج ، وهى هى الماء .. تحولات المادة من كمية الى كيفية تعطى صورة مما يسمى « بالمادية الديلكتيكية » ..

هذه صورتها الطبيعية واما صورتها الاجتماعية فتسمى « بالمادية التاريخية » .. « فالمادية التاريخية » انما هى اذن صورة « للمادية الديلكتيكية » ، ولكن فيما يخص المجتمع .. ولقد قعدها ماركس على خمس قواعد هى التى بنى عليها ما سمى « بالاشتراكية العلمية » ..

خمس قواعد للمادية التاريخية

القواعد الخمس : الاولى منها ان مجرى التاريخ يتحكم فيهو الاقتصاد .. بمعنى أننا انا وانت (دولتين يعنى) عايزين نقتنى اشياء بعينها .. اذا كان علينا حصلت بيننا منافسة حصلت منازعات بيننا، حصلت حرب ، كل هذه تحصل بسبب المنافسة على الاشياء وتحصل الثورات ، ويحصل الاستعمار ، دى صور التاريخ النحن بنأثر فيها بأعمالنا ، وبنشاطنا البنقوم بيهو من أجل ان نقتنى الأشياء — من اجل أن نمتلك ..

القاعدة الثانية عنده هى ان التاريخ انما هو صورة للصراع

الطبقى ــ التاريخ سجل للصراع الطبقى •• بمعنى ان المجتمع ، مما فارق المرحلة البدائية خالص ، البدائية لما ماكان عنده الأدوات ، البدائية لما كان الانسان بيعيش على فضلات الخضار البلقاهو ــ قد يكون الأعشاب والحشايش ــ وعلى فضلات الثمار البرية البلقاها ، من يومئذ بدأ يعرف الطبقات •• لما تطور المجتمع ، وتقدم شوية ، واخترع الآلة ، وبقى يصيد الحيوان ، وخش اللحم فى غذائه ، وتعقدت حياته شوية ، أصبحت عنده فى طبقات تستغل طبقات ، أو طبقة ، يمكنك أن تقول ، بتستغل طبقات ، فنشأ الصراع بين المستغل والمستغلين ، وبدأ التاريخ يسجل •• فالتاريخ اذن هو سجل للصراع بين الطبقات ، هذا معنى قول ماركس فى هذه القاعدة •• ودا ، لغاية الآن ، الانسان بشوفه ساير ، وسائد •• دى نقطة ، أو قاعدة ثانية من قواعده •• عنده قاعدة ثالثة : هى ان الحكومة ــ اى حكومة ــ انما هى عبارة عن جهاز تنفيذى ، أو اداة ، فى يد الطبقة المستغلة (بكسر الغين) لتضطهد بها الطبقات المستغلة •• اذا شرع التشريع ، واذا نفذ التشريع ، بالقضاء ، أو بالبوليس ، انما هو دائما لحماية المستغل ضد المستغل •• الحكومة عبارة عن لجنة تنفيذية للطبقة المستغلة تنفذ بيها اغراضها على الطبقات المستغلة •• عنده نقطة رابعة : هى ان العنف ، والقوة ــ دى القبيل قلناها ــ العنف ، والقوة هما الوسيلتان الوحيدتان اللتان يمكن بهما ان نحدث أى تغيير مهم فى المجتمع •• دى أربعة قواعد بنى عليها ماركس ما سماه : « الاشتراكية العلمية » •• هى عنده علمية لأنها قائمة على دراسة التاريخ دراسة مادية •• هناك فى قاعدة خامسة ، اضافها لينين ، فيما بعد ، بيقول فيها ــ ودى فيما يخص الجهاز ــ اذا كانت الدولة هى اداة فى يد الطبقة المستغلة لتضطهد بها الطبقات المستغلة ، فالوضع الطبيعى اذن ان تكون الحكومة فى يد المستغلين ليتحرروا بها من الاستغلال •• والمقصود منها

بطبيعة الحال ، ان يمنع بها المستغلون (بفتح الغين) انفسهم من ان يستغلوا •• وهم ، كمستغلين ، يعنى كطبقات مضطهدة ، ما هما عايزة تستغل غيرها •• دى هى ما سميت :-« بدكتاتورية البروليتاريا » ، أو « ديمقراطية » — برضو ، هم يسموها — «ديمقراطية البروليتاريا» •• ديكتاتورية ، تمارسها الطبقة المستغلة ، أو التى كانت مستغلة ، ضد الطبقة المستغلة ، وديمقراطية ، فى حقيقتها ، فى حقها هى اى فى حق الطبقة المستغلة (بالفتح) •• هنا اضاف لينين ، كما قلنا ، على القاعدة الخامسة ، من قواعد الاشتراكية العلمية ، عبارة «المثقفين الوطنيين» •• القاعدة الخامسة دى كانت موجـــودة ، ولكن لينين ، عنـد التطبيق ، اكتشف ان العمال والمزارعين ، الذين هم اصحاب الحق فى ان تكـون سلطة الحكم فى أيديهم ، ما عندهم المقدرة لوضع السياسة ، والتخطيط ، ولذلك أضاف ليهم « والمثقفين الوطنيين » فكأنه قال : الحكومة حقهـا تكون أداة فى يد « العمال ، والمزارعين ، والمثقفين الوطنيين » ، بمعنى الحزب الشيوعى •• فالحزب الشيوعى يمكـــن ان تطلـق عليه مثلا « المثقفين الوطنيين » ، لأن الحزب الشيوعى ما بيأخذ عامة الناس •• فانت قد تكون روسياً ، لكن مطلوب منك مستوى معين لتكون فى الحزب الشيوعى •• يمكنك أن تعرف ان سكان روسيا اكثر من مائتى مليون ، ولكن الحزب الشيوعى عشرة ملايين فقط •• ديل فى القمة •• وهـــذه القمة تمشى فى القلة لغاية قمة الهرم ، بالصورة البيكون فوق ، فى قمـة الهرم ، السكرتير العـام للحزب •• مـــن هناك التخطيطات بتنزل ، والطبقات الاخرى بتنفذ ••

مـن حسنات ماركس الفكـرة التطورية

هنا ، مثلا ، انا احب أن تكون عندنا ، فى ميزان حسنات الماركسية ،

الفكرة التطورية ـ كون الوجود فى حركة مستمرة ، لا يستقر اطلاقا ..
ودا ينطبق علينا نحن ، كمجتمع ، وينطبق علينا نحـن ، كأفراد .. دى
حقيقة ناصعة جدا ، وجيدة جدا ـ حقيقة التطور ، و التحول المستمر ..
و انا افتكر اننا نحن الآن يمكن ان نترك التوسع فيها لمحاضرة بكره ..
لان محاضرة بكره قائمة على تطوير التشريع الاسلامى ، وبتمس مسألة
التطور فى ناحية من نواحيها الاصلية .. لكن ما من شك ان الفكرة رائعة
جدا ـ فكرة التطور المستمر عنده .. فيما يضيفه «للمادية الديلكتيكية»
ان الفلسفة قديما ورثتنا العالم مكون من شنو ، وهذا ليس مهما ولكـن
المهم اننا نحن الآن عايزين نحدث التغيير فى تكـويـن العالم .. بمعنى
آخر ، المهم ان يكون عندنا اسلوب علمى ليحفز التطور ـ ليكون التطور
قائم على ذكاء بشرى ، حتى يكون التطور موجه ، وسريع التغيير .. انا
افتكر دى ، اعنى المادية الديلكتيكية ، من النقط التى نضعها ، وعلـى
الفور ، فى ميزان حسنات كارل ماركس .. فى الناحية دى عندنا تطـور
التاريخ ، تطور العناصر ، تطور الوجـــود .. كل شىء فانى ، كل شىء
يتحرك .. ونحن بنديه الحق دا لان هنا فى الميزان ، فى ميزاننا البنوزن
بيهو ، كلامه دا عنده وزن .. نحن القرآن بيقول لينا : «كل مـن عليها
فان * ويبقى وجـه ربك ، ذو الجـلال والاكرام » .. كل مـن عليها
فانى .. كل ما فى الوجـود فانى .. الفناء نحـن بنعتقد فيهو دائمـا
الموت .. وعندنا الموت نهاية .. الواحد معانا النهار دا ، باكـر مات :
نحن خلاص انتهينا منه ، تانى ما بنشوفه ، بتفضل قشرته ـ جسده ـ
بنمشى ندفنه فى التراب .. من هنا افتكرنا انه النهاية .. جائز لنـا نحن
نفكر شويه كمسلمين نعتبر ان الموت ما نهاية .. لكن ، الحاجة البديهية
البتصادفنا طـوالى ، هى اننا بنعتبر ان المـوت نهاية .. الانسـان دا
قبيل لما ولد جاء مـن حيز نحـن ما بنعرفه ، خليهو قبل ما يكـون فى

الرحم ، (هو موجود طبعا قبل ما يكون فى الرحم) موجود بعين وضع فى الرحم ، بعدين ولد ، بعد تسعة شهور وتسعة ايام ، مثلا ، فى الوقت ده بس فقط نحن اعتبرنا وجوده .. بعــدين لما يمشى مننا ــ لما يموت ــ بنعتبره انتهى .. لكن العارفين قالوا هو ماشي لحيز تاني ، مولود فيهو جــديد ، زى ما قبيل ولــد عندنا .. فلوكنا بنعرف مــا كنا بنعتقد انه منتهى .. فالفناء انما هو بالصورة دى ، هو ، اذن ، تطــور .. وقوله : «كل من عليها فان» وهو يعنى كل ما فى الوجود بتغير ، فى كــل لحظة ، برضو بساندنا فى الناحية دى .. وهــو مما يعطينا فرصة وزنه هــو يساندنا فى ذلك ايضا قوله : «كل يوم هو فى شأن» .. ربنا : «كل يــوم هو فى شأن» ، شانه تعبير الوجود .. شأنه ابداء ــ اظهار ــ ذاته لينا لنعــرفه .. ويومه مش اربــع وعشرين ساعة .. يومه وحــدة زمنية التجلى .. زمنية ظهوره فى مظهره المتجدد فى كل لحظة جديدة علــى آيات الافاق وعلــى آيات النفوس .. وهذه الزمنية يمكــن ان تكــون الثانية .. يمكن ان تكون جزء من بليون جزء من الثانية ، لكن الحــاجة المهمة ان الوجود كله فى حركة مستمرة ، لا تستقر اطــلاقا .. فالثبات علــى حالة واحدة حظ الله وحــده .. هنــا ، اذا كان انت جيت لمسألة الميزان ، كارل ماركس عنده وزن كبير .. فى ميزاننا نحن كلامه هـــذا عظيم ..

مـن حسنات ماركس الــدراسة الاقتصادية

نمشى ليقدام فى مسألته فى الاشتراكية .. الاشتراكية !! الحاجة النجب انها تكون واضحة ، ودى فيها لبس دائما ، ان كـارل ماركس موش اول اشتراكى ، وهــو لن يكون آخــر اشتراكى ، لكنه صاحب مدرسة فى الاشتراكية عتيــدة ، مدرسة مجيدة ، مدرسة ، يمكنــك ان

تقـول ، محترمة •• لقـد درس ماركس المسألـة الاقتصادية دراسة واعية •• لقد جعل المسألة الاشتراكية امـر دراسة تخضع للرصد ، وللتخطيط ، وللتطبيق •• ده مما يوضع فى كفة ميزان حسناته •• هنـا نجى لى اشتراكيته العلمية •• لقد نرى انه يمكنك ان تجد بعض المآخذ فيها ، ولكن لا ضير •• فانه جميل قوله ان مجرى التاريخ بتتحكم فيهو النظم الاقتصادية •• ده ، بطبيعة الحـال ، حـق ، وواضح ، عنـدك وعندى •• مجـرى التاريخ بتتحكم فيهو النظم الاقتصـادية ، بمعنى العلاقات البتقوم بين المنتجين •• يعنى النظام الرأسمالى ، مثلا ، يكاد يكون عنـده تاريخ يختلف تماما عـن التاريخ البيصحب النظـام الاشتراكى •• يتضح لك هذا اذا كان مثلا علمت ان النظام الرأسمالى من مساوئه الاستعمار •• ونحـن ، فى بلدنا دى ، بنعرف الاستعمار جيدا •• فى العالم كله نحـن بنعرف ان الاستعمار قائم علـى النظم الاقتصادية الرأسمالية •• ذلك لان الرأسمالى بينتج انتاجاً واسعاً فى المصانع الكبيرة فهو عاوز مادة خامة ، وعاوز سوق يبيع فيهـو المصنوع الجاهز •• فبدأت الحركة بتاعة الاستعمار فى بـداية القرن الثامن عشر كأعمال تجارية •• مثلا الهند !! استعمرتها شركة ، كانت بداية ذهاب البريطانيين •• الهند السميت ، فيما بعد ، البقره الحلوب للامبراطورية البريطانية •• كانت بداية استعمارها شركة تجـارية ، هى شركة الهند الشرقية •• وكان الغرض منها اول الامر ان تجلب التوابل ، وان تجلب المسائل النـادرة مـن الشرق ، مثل البهارات ، والعطـور ، المسائل الخفيفة •• كان ذلك قبل ما تمشى الصناعة بتطـور كبير فى البـلاد الغربية •• بعدين الشركة دى ظهرت ليها منافسات شديدة من الشركات الاخرى ، من البلاد الاخرى ، فطلبت من حكومتها ان تحميها •• جـاء التدخل بالجيش •• بعدين جـاء اخضاع البلاد كلها للتجارة •• جـاء

الاستعمار •• اصبحت الاشياء البتطلب الآن المواد الخامة الغليظة — المطاط ، والقطن ، والاشياء البتمشى للمصانع لتصنع •• بعدين على الشعب الهندى المستعمر ان يظل منتجاً للمادة الخامة ، وسوقاً للمنتجات الجاهزة ليشتريها ويستهلكها •• فتلقى ، اذن ، ان التاريخ يظل قدامكم مفتوح ، النظام الاقتصادى بيتحكم فيهو ، بل يصنعه •• اذا كان مشيت لمسألة الصراع الطبقى بتلقى ان التاريخ تقريباً سجل ليهو •• دا حق •• الصراع الطبقى هو النزاع البقوم بين الطبقات •• مثلا لو شفت الرقيق •• يمكنك ان تأخذ الصورة بالشكل الغليظ دا •• الرقيق طبقة مستغلة •• تستغلها طبقة الاسياد •• والرق مرحلة متخلفة من مراحل الاستغلال •• ثم تطور الاستغلال لغاية ما مشى ليكون فى صورة صاحب العمل والعمال •• والصراع الطبقي هو النزاع القايم بين الملاك والناس المابيملكوا حاجة يبيعوها غير عرقهم •• والصراع دا ، عبر التاريخ ، موجود •• وزى ما بقول لك فى مسألة الرقيق •• اهو انت شايفها واضحة •• نقطته الثالثة هى مسألة الحكومة : فالحكومة عنده هى اداة فى يد الطبقة المستغلة لتستغل بيها الطبقات المستغلة •• ودى افتكر انت يمكنك ان تشوفها •• فمثلا فى البلاد الرأسمالية النظام الرأسمالى مسيطر •• زى ما انتو بتسمعوا عن الرئيس الامريكى ، مثلا عن كندي وعن جونسون ، فانه يقال انه ، (ودا رأى مؤكد ان فيه شيء من الصحة) يقال انه مما حمله على مواطأة الاسرائيليين خوفه من النفوذ الموجود عند الصهاينة (عند اليهود) فى امريكا ، فانهم يستطيعون ان يسقطوه عندما يتقدم للانتخابات لرئاسة الجمهورية اذا كانوا ضده •• هذا يعنى ان اليهود عندهم وزن اقتصادى ومالى كبير •• عندهم تأثير على وسائل الاعلام ، وبعضها تحت ماكيتهم ، ويمكنهم اذن ان يعملوا حملة ضده تسقطه •• فاذا كان رئيس الدولة يلقى بالا لنفوذ

الطبقات الفنية ويخشاه فقد اصبح واضـحا لك ، ويمكنك ان ترى ان الحكـومة يمكن ان تكـون أداة تنفيذ لاغـراض الناس المستغلين (بالكسر) •• ولقد تجىء التشاريع ، كما يجىء التنفيذ ليرسم لكل المسائل لتمشى فى الاتجاهات المطلوبة ليهم ، ولحفظ مصالحهم •• دى هى نقطته الثالثة ، وهى ، كما ترى ، نقطة وجيهة ، وعلمية ، وواقعية ••

مـن ميزان سيئات ماركس ملازمة العنف للقوة

نقطته الرابعة بتاعة : « العنف ، والقوة ، هما الوسيلتان الوحيدتان لاحـداث اى تغيير أساسى فى المجتمع » •• نقطته الخـامسة بتاعة « دكتاتورية البروليتاريا » •• دى نقـط كلها فيها ضعف •• وهى مما يمكنك ان تقول انها مما يوضع فى ميزان سيئاته •• الموضوع وما فيه انه هو ما بشوف ، للخلف ولا للأمام ، الوضع كله •• هناك فى تطور جائى من الماضى ماشى للمستقبل بقوة ، يمكنك أن تقول عنها انها قوة صماء •• هذا التطور ماشى للانسان •• الانسان هو قمة التطور وليس للتطور فى هذا المضمار نهاية •• هذا الانسان ما عنده ارادة مستقلة ، وانما هـو ماشى لمصير محتوم •• حتى فهم الانسان لهـذا المصير المحتوم ، وحتى علمه ، او فلسفته انما تعطيه اياها حركات المـادة المتطورة وفق قوانين معينة •• نحن فى الماضى طلعنا من الماء ، ثم من الغابة •• نحن البشر كنا بنعيش عيشـة الحيوانات المـائية فى المـاء ، والحيوانات الوحشية فى الأحراش •• والحيوانات ، بطبيعة الحال ، قانونها قانون الغـابة حيث القوى منها بياكل الضعيف •• الحيوان المفترس ما عندو زاد يدخره ، لكن الحيوان الضعيف ، الحيوان المسكين ، الحيوان الما عندو قوة هـو غذاؤه •• لغاية مجتمعنا نحن — المجتمع البشرى — فانه اقام كثيرا مـن الحقوق بين افراده على خلفيه من القوة ، حتى اننا ، نحن العرب ، عندنا

العبارة المعروفة : ((من غلب سلب)) والمجتمع المتخلف حقوقه هى دائما حقوق القوى .. القوى عندو حق لانه قوى .. وهو بتقاضى بنفسه الحق بتاعو .. ما هو عاوز محاكم عشان ما تديهو حقه دا .. لكن هل السمة دى من سمات المجتمع هى ملازمة للمجتمع فى المستقبل أم هل هى مرحلة ؟؟ انا افتكر ان كارل ماركس ، فى جميع نقطه التى أسس عليها اشتراكيته العلمية ، قد حجب عن كونها مرحلية ، واتخذها كالمستديمة ، وبنى عليها دراسة مستقبل التطور .. وهذا هو مكان الخطأ فى فكره .. اما ان كانت دراسة لماضى التاريخ فانها صحيحة .. ويمكنك ان تضعها فى ميزان الحسنات .. لكن الماضى كونه يتسحب على المستقبل دا ما هو صحيح .. مثلا لو اخذت ((العنف ، والقوة ، هما الوسيلتان الوحيدتان لاحداث أى تغيير اساسى فى المجتمع)) ، تجد اننا ، نحن السودانيين ، عندنا مثل يورى ان العنف ما ضرورى ، لكن القوة ضرورية ..

انا احب ان يكون فى تفريق فى عبارته .. هو قال : ((العنف والقوة)) ضروريتان .. اما نحن فعندنا ان القوة ضرورية ، لكن العنف ما ضرورى .. انا افتكر ان ثورة اكتوبر تدينا مثل فى ذلك .. نحن فى ثورة اكتوبر كنا قويين لكن ما كنا عنيفين .. القوة جاية من وحدة صفنا ، حتى الانسان الكان يمكن ان يكون عنيف ما استطاع ان يكون عنيفا .. فالقلة كانت بتملك السلاح ، وكان يمكن ان توجهه ضد الشعب .. ولكن قوة الشعب أضعفتهم ، وذهبت بعنفهم .. فاذا كان نحن ميزنا بين العنف والقوة ، أنا إفتكر الطريق ينفتح قدامنا للتطور البشرى الحقيقى .. فان القوة ضرورية ولكن العنف ما ضرورى .. بل الحقيقة ، لدى الفكر الصحيح ، العنف من دلائل الضعف ، عند العنيف ، وليس من دلائل القوة .. وانت دى بتباشرها فى الحياة اليومية ، فالانسان الواثق من نفسه قل ان يلجأ للعنف .. واما الانسان الضعيف فمن اول الكلام ،

من اول المحاججة ، من اول النقاش : بتلقاه نفسه قام ، وزعل ، كـأنه بقول ليك ما تتكلم تانى معاى •• فالعنف انما هو حماية لنفسه ، أو ستر لضعفه •• وما من ديكتاتور بطش بالناس الا لانه خائف •• ولكننا نحن بنعتقد ان الديكتاتور الباطش بالناس دا رجل قوى ، وانما قام هذا ببالنا لجهلنا بحقائق الطبائع •• والحقيقة لو هو مطمئن لنفسه ما ببطش •• فالعنف والقـوة ما شرط دائما يتقـرنن مع بعض •• العنف كان سمة تاريخنا فى الماضى •• القوة راح تكون سمة تطورنا فى المستقبل •• انـا اعتقد ان كارل ماركس ما كان عنده خيال كافى عن المستقبل •• فى نقص فى فكرته عن المستقبل •• لقد كانت نظرته عملية ، وكان يخـاف مـــن الخيال ، ويتبرأ منه ، بالصورة التى تركته يحاول ان يزحف علـى كل الأرض ، بدون ما يكون عنــده خيال واضح هـو ماشى ليوين •• اللهم الا خيالا يستخلصه من الماضى •• ودا هو اساس الضــعف فى جميع مسائله •• فى النقط اللى قلناها قبيل فى خطأ ، وفيها أيضا حقيقة كويسة لدراسة التاريخ فيما مضى •• ولكن سحب صور الماضى على المستقبل خطأ ••

وفى ميزان سيئات ماركس « تزييف الديمقراطية » ••

هنا يقع وضع ماركس فى الخطأ الكبير جدا ، اللى هـو ديمقراطية الطبقة المستغلة ، الطبقة العـــاملة •• أو ما اسماه باتحـــاد العمال ، والمــزارعين ، والمثقفين الوطنيين •• دى فيهـا تزييف للـــديمقراطية مؤسف •• لانه ، بطبيعة الحال ، الديمقراطية هى ان تختار •• يمكنك ان تقول ، من الناحية دى ، الـــديمقراطية هى ان تمارس انت حـــق الاختيار •• لأن حق الاختيار يديك فـرصة انك انت بتـوزن ، وبتقدر بنفسك ، وبتفكر •• حـق الاختيار ، اقل مراحلــه ، ان تختار انت بين اثنين •• اذا كان عندنا فى حزبين ، منهـم مرشحين بتنافسوا ، مثلا ، على الرئاسة ، انا وانت بنمشى ندلى باصواتنا بين زيد وعبيد •• نحـن

فى المستوى دا ديمقراطيين •• لكن اذا كان فى عندنا رجل واحد بترشح للرئاسة ، وناس معينين بترشحوا للنيابة ، نحـــن ممكن نمشى ، وممكن نصوت ، لكن ، رغم ذلك ، فان الوضع ما هو ديمقراطى •• الوضــــع تزييف للديمقراطية •• وتسميته بالديمقراطية من اكبر الاخطـــاء التى تورطت فيها الماركسية •• دى ، وما يتبع من مسائل يمكن ان نرجع ليها هسع ، هى ثمرة الوضع عند كارل ماركس •• كون الفرد البشرى ما عنده قيمة ، اذا ما قورن بالمجتمع ، دى جايه مــــن التفكير المادى نفسه •• التفكير المادى بقول انو الماده سابقة علـــى العقل فى الوجود •• يعنى المادة اكرم من العقل •• لاحظ ان النقطة دى هى الأنبنى عليها كثير جدا •• كون العقل نتيجة للمادة دا معناهو ان المادة اكرم ما فى الوجود •• المادة اكرم من العقل •• وهذا التفضيل ينسحب على الفرد •• المجتمع اهـــم من الفرد •• وتنسحب على مسألة الحـــرية الفردية •• وتجى معـــاها مسألة القطيع ـــ مسألة الجماعة ـ ففى الماركسية الجماعة أهـــم مــــن الفرد •• الحكاية بسيطة ، وجات من ملابسات انا افتكر انهـــا سطحية جدا •• زى التفسير بتاع التاريخ بالصورة دى ، السطحية فيها بطبيعة الحال موجودة •• ان الفرد البشرى بطبيعته انانى ، وهـــو ، بطبيعته الثانية ، انانى جاهل ، لانه نشـــأ ، وارتفع ، مــــن الحيوانية البدائية المعروفة •• الحيوان مـــا عنده اعتبار لغيره ، وهذا امر معروف •• ثــم اننا نحـــن عندما دخلنا فى المجتمع لنبقى ناس كان علـــى المجتمع ان يروضنا ، من شراسة الحيوان الى انسية الانسان ، ولذلك القى المجتمع البدائى على الفرد البشرى تكاليف كبيرة ، الى الحـــدود التى جعلت الفرد البشرى يضحى بيهو فى سبيل الجماعة •• التضحية بالفـــرد البشرى فى سبيل الجماعة فى الاديان كلهـــا معـــروفة •• حتى فى ديننا نحن •• القصة البتجى عـــن سيدنا ابراهيم لمـــا فرض عليهو ان يضحى باسماعيل ما جايه من الهوى انما جايه من ملابسات فى المجتمع المـــاضى

الحاجة فيها مانسه .. وابراهيم ما تردد فى التنفيذ .. لكن فى اللحظة ديك ربنا فداه بالحيوان .. فانتقل البشر للضحية بالحيوان ، بعد ان كان يضحى بالبشر .. مسألة عروس النيل ، فى مصر ، المشهورة فى ايام عمر بن الخطاب !! فانه قد روى ان عمرو بن العاص ، وقد كان حاكما على مصر من قبل عمر بن الخطاب ، كان قد شعر ذات يوم بجلبة فى الشارع ، فسأل عنها ، فعلم انها عروس النيل .. وتلك عادة قديمة عند المصريين : انهم كانوا يزفون للنيل كل عام فتاة من اجمل فتياتهم ، بكامل حليها ، وزينتها ، فتلقى فى النيل ، ضحية ليفى لهم بفيضانه .. فامر عمرو بايقاف هذا العمل الردىء حتى يستامر عمر .. فلما كتب لعمر بذلك كتب عمر جوابه المشهور لنيل مصر .. قال فى الجواب : من عبد الله عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ، الى نيل مصر .. اما بعد فان كنت انما تفيض من نفسك ، فلا تفض .. وان كنت انما تفيض من عند الله ففض .. وامر عمراً بان يرمى هذا الجواب فى النيل ، ففعل .. ففاض النيل ، وابطلت العادة من يومئذ .. هذه كلها صور قديمة من صور التضحية بالفرد البشرى .. وفى اخضاع الفرد للجماعة بهذه الصورة العنيفة فائدة للفرد وفائدة للجماعة .. فاما فائدة الجماعة فواضحة ، واما فائدة الفرد فتجىء من انو العنف بيعينه على السيطرة على نفسه بدواعى الخوف من غضب الآلهه ، وغضب الجماعة حين يخالف القوانين .. وبسبب هذه التربية الطويلة تحت ظل الخوف اصبحت بتلقى الفرد البشرى اذا منا خاف قد يكون نشاطه ضد الجماعة ومن هنا اصبح قائما فى ذهن المفكرين ان الجماعة اهم منه وهو من اجلها يمكن ان تهدر حريته .. فالجماعة كالدولاب الكبير ، كله اسنان ، وما الفرد الاسنة واحدة من هذه الاسنان ، فاذا لنترمت هذه السنة فان الدولاب سيستمر يتحرك .. اهدار حرية الفرد فى سبيل امن الجماعة جاى من الاعتبار القائل انو العقل جائى بعد المادة فهى من ثم اهم منه .. فما قرره كارل ماركس ،

فى هذا الباب ، عن ماضى التاريخ ، فهو صحيح .. ولكن ، فى مستقبل التاريخ ، هل القـــرد البشرى لازم ليه ، ولابد ليه ؟ ان يكون انانى ، وباستمرار ؟؟ أم هو ماشى ليوعى وبالمستوى الذى يجد بيه سعادته فى اسعاد الاخرين ؟؟ ويرتفع من انانية حيوانيه سفلى ، الى انانية انسانية عليا ، ومتفهمة ، وعالمة ؟؟ وعندنا نحن المقال : « يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » هل تنفى الانانية على اطلاقها لم تنفى الانانية الجاهلة فقط ، والانانية العالمة موجودة حتى فى هـــذا الايثار ؟؟ كل البشر عندهم انانيتهم طبعا ، ولكن ليتعلموا ، ويترقوا ، لابد ان ترتفع انانيتهم مـــن ان يكون الحطام هو جزاءهم الى ان يكون جزاءهم ارفع مـــن ذلك ، التى هو مرضاة الله ، والقرب منه ، والسعادة البلقاها فى برد الراحة بمعرفته بالله .. « الخلق عيال الله » ! فأحبهم الى الله ، انفعهم لعياله » .. ولذلك قال تعالى « يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .. ففى أصل المجتمع أنو ماشى يصل للأنانية الراقية ، لكنو فى المـــاضى خاصة كـــانت أنانيته حيوانية وضيقة .. فكارل ماركس بنى على الماضى ، وسحبه على المستقبل ، ولذلك أخطأ هنا كما أخطأ فى النقط السابقة ..

بين العقــــل والمـــادة

تجىء هنـــا نقطة أساسية بقت فى المادية الديلكتيكية : هـــل رأى كارل ماركس فى أن العقل لاحق ، والمادة سابقة ، صحيح ؟؟ نعم !! هل رأيه فى أن الفكر انما هو انعكاسات لحركة المادة فى الخارج منطبعة فى العقل البشرى ومستقرة فيه صحيح ؟؟ نعم !! ودى ، أنا افتكر ، مـــن النقط الحقنا نكون واعين ليها ، لاننا نحن ما خلقنا من أول مرة بعقولنا دى ، وبصورتنا الحاضرة .. نحن نشأنا من حيوات دنيا .. ربنا قال : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟؟ » .. « هل أتى » ، يعنى « قد أتى » .. مضى ، اذن ، علــــى نشأة الانسان وقت طويل ،

ستحيق .. لما ربنا يقول : « حين من الدهر » يبقى علينا أن نتصور طول هذا الزمن .. فاذا كان اليوم العنده هو كألف سنة مما عندنا نحن يبقى لما يقول قد أتى على الانسان جين من الـدهر يمكنك أن تفكر في بلايين التنين تكون قد مرت على الانسان قبـل أن يكـون حاجة عندها وزن عند الله .. قبل ان يكون عنده العقل ، يعنى .. وما من شك أنو الانسان بدأ في حياته البدائية وجسده سابق علـى عقله .. بعدين بالتطوير المستمر نشأ في مراقى الحيـاة ، باطوارها المختلفة ، حتى ظهر العقـل مؤخراً في مرتبة الحيوان .. ثم ترقى حتى ظهر العقل في مرتبة الانسان ، فاصبح الانسان مذكـوراً في ملكوت الله ــ أصبح مكلفا بالشريعة .. وهذا هو معنى الذكر الوارد في قوله تعالى : «لم يكن شيئاً مذكوراً» .. ونحن برضو دائماً ــ بالمناسبة ــ ما وجدنا بالحواس الخمسة ، زى ما بنألفها نحن في الوقت الحاضر .. في بداية الحياة نشأت الخاسة الاولى ، ويمكنك أن تسميها الحس .. يعنى الحيوان الأول ــ الخلية الواحدة في الماء ــ كـان يحس بكليته .. اذا وجد نفسه انجرف للظـلام في الموية الغريقة ، الباردة ، يحس بالخطر على حياته فيجىء علـى البر قليلا .. واذا وجد نفسه الموية جرفته على البر يخاف ان ينشف ، ويموت فيجاهد ليرجع .. هـو يحس دائما بالخطـر ، وأحساسه بكليته ــ بجميع جسده .. بعدين اتوظفت الاعضاء .. مثلا ، كـان لابد ليه إن يحمى حياته ، وكان جسمه رخوا فقامت القشرة ، فاصبحت ليه درقة ، ونحنا لغاية الآن ، عندنا منها الجلد ، والشعر ، والاظافر .. القشرة في اصلها محارة زى بتاعة القوقعة .. أو قول زى القدح بتاع السلحفاة .. أو قول زى الكريق بتاع التمساح .. دا كاه نشأ من المادة الرخوة ديك .. بعدين الجلـد اتوظف للحماية .. والحس انتقـل الى مسائل ممركزة ، بـدل جسمو كلو .. فنشـأت العين ، والاذن ، والانف ، واللسان .. واصبح اللمس باليد ، مثلا .. الحواس دى في مجموعها هى العقل ..

فما من شك ابداً انو ، فى التطور ، فى الناحية المـادية ، العقل لاحـق ، والجسد سابق ..

السيئة التى رجحت بجميع الحسنات

لكن فى حاجة اساسية هى برضو فاتت علـى كارل ماركس ، لان نظره للمستقبل ما هو كافى .. هى ايه ؟؟ .. هى انو هناك عقل سابق على المادة .. هذا العقل السابق على المادة نحـــــن دلايل عليه .. المسألة النحن ــ بنقولها هى سدا :ــ

نحن هسع عندنا عقولنا ، فاذا كنت انا عاوز أعمل التربيزة دى لابد أن يكون عندى علم بيها ، بعدين هذا العلم لابد ليه ان يتركز ، وينضج لغاية ما بيه أخصص ، واحدد صورتها .. اول ما فكـرت انا فى منصة ، مثلا ، للدار بتنبثق فى ذهنى صورة ليها .. الصورة دى بتحدد تماما لمـا آخذ ورقة واكتب مقاساتها ــ القرصة مقاسها قـدر شنو ؟؟ وارتفـاع المنصة قدر شنو ؟؟ والقوائم حجمها شنو ؟؟ بعدين اتحرك فى النجارة ، وانفذها .. ثلاث حـركات .. العمل النحنا بنشوفه بارز بالصورة دى مسبوق بحركات داخلية .. هـذه الحركات هى انك تعلم ، وانك تريد ، وانك تقـــدر . ولذلك ربنا وصف نفسه تعـالى فقال : العالم ، المريد ، القادر .. بالثلاثة اسماء دى ظهر الوجـود .. طيب !! المنصه دى ، قبل انا ما أعملها ، انت ماك عارف عنها اى حاجة .. انت ما عـرفتها الا لمـا اتحركت الحركة الثالثة ، وظهرت .. لما كانت علم ، عندى أنا ، انت ما عندك بيها خبر .. يجـــوز لما كانت ارادة ، اذا كـان انا خططتها فى الورقة ، (ومش شرط انا دايما أخططها) لكـن اذا كان أنا خططتها فى الورقة ، بيكون انت عندك خبر بيها .. انت لأنك بتشوف صورتها .. ولكنك انت برضك بتكون عاوز تشوف صورتها دى بارزة فى الخشب .. هل هى ، قبل ما تكـون بارزة فى الخشب بالصورة دى ، ما كانت فى ؟؟

حقا ، وحتما ، كانت في !! ولكنها غير ظاهرة لينا نحـــن •• طيب !! اذا كان الوجود دا ، بي صورته دي ، نحن انبثقنا منو كعقول تعلم ، وتريد ، وتقدر (تنفذ) ، هل الوجود دا ما يمكن ان يكون برز عن ثلاث مستويات من الحركة برضو ؟؟ هل ما يمكن ان نقوله ، اذن ، انا فكرى دايما هــو محاكاة ، وانطباع ، لفكر سابق •• النقطة التي تورط فيها كارل ماركس انما هي انكاره لي أن يكون هناك فكر سابق •• نحــن في اتجاهاتنا دي كلها ، الاشياء البي نعملها كلها متأثرين فيها بقوانين خارجية •• هـــو قطعا بنسبها للقوانين •• تحول المادة ينسبو للقوانين •• لكــن اذا كان نحن ، في ممارستنا الطبيعية كل يوم ، بنرى انو ، اذا كنا عاوزين نعمل حاجة ، ما بتتعمل اذا ما حصلت الحركات الثلاثة دي •• اذا انت ماعلمت بالحاجة البتعملها ، ثم اذا انت ما أردت عملها ، ثم اذا انت ما اتحــركت لتعملها ــ ما تدرت ــ اذا ما كان عندك علم ، وارادة ، وقدرة ــ لا يمكن ان يكــون في شيء يتم •• الخشب دا لو خليتو مليون سنة خشب ، ما ادخلت فيه اليد البشرية ، بالحركات الثلاثة السالفة الــذكر لا يمكن ان يكون طربيزة •• يبقى ، من البداهة ، انو المادة النحن بنتكلم عنها قــد تكون هى صور لي عقل اكبر من عقولنا •• ودا هو الحق اللى ذهل عنو صاحبنا •• المادة سابقة للعقل البشرى ، ولكنها لاحقة للعقل الالهى •• هذا هو الموضوع الحساس الفيه المفارقة كلها بتاعة الماركسية •• وكل مـــا يمكن ان تضعه انت ، من حسنات ، في ميزان الماركسية ، برجح دا وحده بيها كلها ، ويكاد يضيفها الى كشف السيئات •• اذن القصة هي دي •• ومنها يتضح ان هيجل الذى هو ، عند ماركس ، فيلسوف حالم ، ومثالى ، هو ، في الحقيقة ، اقرب الى الصواب من ماركس ، الذى هــو فيلسوف مادي •• هيجل اقرب الى الصحة ، وليس صحيحا ، لانو ، زى ما انتو عـــارفين ، ما يوصل ليه الدين الفلسفة ما بتوصل ليــه ، لسبب واحــد بسيط ، هو ان الفلسفة بتقوم علــى التفكير •• الفلسفة بنت العقل ••

ومهما قوى العقل ، وقويت مسائله ، وفروضه الفلسفية ، فهو لا يمكن ان يأتى بشىء اكبر من العقل •• هناك قصة الغزالى الانتو عارفنها •• الغزالى لما بحث فى كل هذه الاتجاهات ما وجد الحقيقة •• بدأ بالفقه فما اطمأنت نفسه ، ثم اخذ فى علم الكلام ، فما وجد شيئا يريحه ، ثم ذهب للفلسفة ، فما وجد طمانينة قلبه ، فى كل اولئك •• بعدين جاء للتصوف ، فاطمأنت نفسه ، فكتب كتابه المشهور : «تهافت الفلاسفة» •• هنا ، عند العارفين ، ان مرحلة العقل هى مرحلة معرفة ، ما فى ذلك شك ، ولو لا العقول ما عرفنا الله •• لكن العقول ، فى نفس الوقت ، بتقوم حجاب بيننا وبين الله •• ليه ؟؟ لان العقول ، زى ما انتو شايفين ، انما هى بنت للحواس •• والحواس زى ما اتكلمنا عن تطويرها من قبل انما هى ثنائية •• الحواس ثنائية •• انت بتشوف بالعينين الاثنين ، وبتسمع باذنيك الاثنين ، كل المسائل بتاعتك ثنائية •• العقل برضو ثنائى •• وهو محتاج للثنائية دى •• إذا كان ما الحار ما بنعرف البارد •• اذا ما الظلام ما بنعرف النور •• اذا ما الحلو ما بنعرف المر •• ودى الحكمة الدخلت بيها الاشياء فى الوجود (فى الارادة الالهية) المخلوقات كلها ثنائية •• حتى الكفر ، والالحاد •• الكفر من الله •• هو بارادة الله •• وكارل ماركس ما دعا للالحاد من نفسه ، وبراه وانما الله قال ليه •• الله قال ليه اعمل فيها الحاد •• ادعو للالحاد •• بالصورة دى ظهر الالحاد •• وظهر لحكمة فى موضوعه •• وانت ماشى لقدام فيها •• ومن الخطأ جدا ان تفتكر انو كارل ماركس جاء بالالحاد من عندو •• لكن الله ، تبارك وتعالى ، اراد اشياء لم يرضها •• عندنا فى فرق بين الاسماء الالهية دقيق •• الإرادة والرضا ، مثلا •• الارادة بتدخل فيها الثنائية فى الوجود ، الحكمة فى دخولها لنعرفه نحن ، لأن عقولنا دى لا تعرفه ، ولا هى تدرك الوجود ، هى لا تدرك اى شىء ، الا اذا كان عندنا المقارنة ليه بضده ، « وبضدها تتميز

الأشياء)) •• ربنا ما برضى بالكفر وان اراده •• وهو انما ارسل الرسل من اجل دا •• اراد الكفر ولكنه لم يرضه •• وارسل الرسل ليخرجوا الناس من عموم ما اراد ، الى خصوص ما يرضى — من الكفر الى الايمان ••

يقول تعالى فى شمول خلقه الوجود ، وفى هدايته من هدى ، واضلاله من اضل : ((وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله •• ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون)) ••

((وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله)) وهو ، ربنا ، البيجعل الرجس على الذين لا يعقلون •• وقال : ((ان تكفروا فان الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر •• وان تشكروا يرضه لكم ••)) •• ((ان تكفروا فان الله غنى عنكم)) ، الغنى يعنى الما بنغلب •• يعنى ((فان الله غنى عنكم)) معناها ما كفرتوا بيه مغالبة ليه •• معناها ما كفرتوا رغم أنفو ، فعن ذلك تعالى الله ، علواً كبيراً ، وانماكفرتم بارادتو •• دا معنى: ((غنى عنكم)) •• ((ان تكفروا فان الله غنى عنكم ، ولا يرضى لعباده الكفر •• وان تشكروا يرضه لكم)) •• تعليم الله لينا دا هو السبب اللى دخلت بيه الثنائية فى الوجود •• فلما انت تمشى بعقلك لتعرف الحقائق الكبرى ، بتجد أن الله ما عندو ثنائية •• هناك بتجىء الوحده المطلقة ، وهناك العقل بقصر عنو •• ودا ما يخلى الفلاسفة لا يدركون الحقائق ، يدركون صور منها •• يدركون ظلالها فى مستوى الثنائية •• لكن ، عند التوحيد ، العقل ما بمشى •• هيجل كان فيلسوف ، وكان عندو معرفة بالحقيقة اكبر من معرفة ماركس ، ولكنها ماها كافية •• كان هيجل بيرى انو مجموع الوجود هو الله •• الكلام دا فيهو جانب من الحق •• فان الوجود دا أصله ما فيه غير الله وأسماؤه ، وصفاته ، وافعاله •• وما

نحن الا نتيجة لافعال الله •• نحن ارادة الله مجسدة •• العارفين قالوا ما في الكون الا الله •• بالمعنى دا هنا الوجود هو الله •• لكن هل الله هو الوجــود ؟؟ دى هى النقطة الفايته فى موضوع الفلسفة •• يدركهـا التصوف ، ولا تدركها الفلسفة •• الله موش الوجود ، لكن الوجود هو الله •• وهناك قوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم » •• فى هذا الأمر لطيفة من رقائق ، ودقائق اللطائف العرفانية وتلك هى ان الذين قالوا ان المسيح ابن مريم هو الله ، ما كفروا •• هذه هى الحقائق الكبرى فى الدين •• الله أرفع من الوجود كله ، والوجود مظهره فى تنزلاته ليعرف •• فهنا هيجل كان مخطىء ، واعتراض كارل ماركس عليه كان بخطأ اكبر من خطأ هيجل •• والحقائق أعلى من مسألة هيجل ومن مسألة كارل ماركس •• هنا ، المسألة دى ، أعنى ذهول الماركسية عن الوجود الالهى فوت عليها كل شىء فى الناحية النظرية ، وفوت عليها تى كثير فى الناحية التطبيقية •• هسع انت يمكنك أن تقول أن الانسان المفكر فى دقة اذا كان اتبرهن ليه أن الاشتراكية ، أو الشيوعية ، فاشــلة فى روسيا ، أو فاشلة فى الصين ، ما حقو يحكم من فشلها فى التطبيق على فشل الفكرة •• الانسان الدقيق فى فكره يعرف أنو التطبيق قد يكــون خطأ ، مع أن الفكرة صحيحة •• لكن نحــن ، ومن أجل دا ، نحــــن ما مشينا انخطىء الشيوعية من قصور من قصروا فى تطبيقها ، وانما مشينا ليها من أصل فلسفتها •• فهى خاطئة فى أصل فلسفتها ومن أجل هــــذا فشلت فى التطبيق ••

الاشتراكية ليست هى المـاركسية :

الاشتراكية موش هى الماركسية •• لكن الماركسية مدرسة مــن مــدارس الاشتراكيــة •• ودى تقال لمصلحة الأخــوان المــاركسيين أنفسهم ، لأنهم هم بعتقدوا ، وبكلموا الناس بانك اذا انت كنت عــاوز تكون اشتراكى لازم تكون ماركسى •• الحقيقة التى نحــــن نريدها أن

تكون واضحه هى أن الاشتراكية انما هى مصير الانسانية بكرة .. ما فى ذلك أدنى ريب لكن الاشتراكية لا يمكن أن تتحقق الا اذا انهزمت الماركسية .. هنا افتكر ممكن نقيف .. وبايجاز نقول انو من حسنات الماركسية ، الفكرة التطويرية ، ومن حسنات الماركسية الدراسة الاقتصادية ..

من أخطاء الماركسية انو الفكرة التطويرية أخدها من الماضى وسحبها على المستقبل ، وهو عمل غير صحيح .. من أخطاء الماركسية تشويهها للديمقراطية بأن تسمى الاشياء بغير أسمائها ، وتخلى حتى الوضع الدكتاتورى يسمى ديمقراطى .. من أخطاها المفارقة الكبيرة فى أنها أنكرت الوجود الأكبر من وجودنا ، لمجرد أنها عجزت عن أن تدركه .. عجز كارل ماركس عن أن يدرك الله فذهب ليجعل العجز دا ذاتو فضيلة ، فقرر انو الله مافى .. أنا أفتكر انو دا الخطأ اللايمكن ، مهما عملت الماركسية ، أن يعطيها شى كبير من الوقت تعيشه .. أخطاء كثيرة ، لكن فى حاجة يجب أن تكون واضحة عندنا ، هى انو الماركسية ، كما طبقت فى روسيا ، وفى الصين ، مرحلة من مراحل التاريخ البشرى . وقد كانت ضرورية تماماً ، وخدمت الغرض تماماً .. اذا كان نحن ، عاوزنها تنسحب للمستقبل يبقى الخطأ خطأنا نحن .. لكن اذا أخذنا العبرة من تطبيقها ، فى نجاحها وفى فشلها ، فى مدى الخمسين سنة الماضية فانها هى نشاط بشرى جم الفائدة وعنده قيمته العظيمة ، وعلينا أن نستفيد مما ليهو من صواب ، وأن نصحح ما عليه من أخطاء ، لنمشى لى قدام بتطبيق النظام الاشتراكى المصحوب بالنظام الديمقراطى .. وما أعتقد ان دا بيجى الا عن الفهم الصحيح لحقائق الوجود التى حاولنا أن نقدمها ، فى الوقت الحاضر ، وهى مأخوذة من الفكر الاسلامى الجديد .. افتكر فى المرحلة دى اتركّكم لتشاركوا فى النقاش بعد ما طالت المقدمة بالصورة دى .. شكرا ..